

الإيمان بالكتب

تأليف الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله-صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً..

أما بعد:

فهذه نبذة يسيرة عن الإيمان بالكتب، يلقي من خلالها نظرة عامة حول هذا الموضوع، وذلك من خلال الآتي:

- تعريف الكتب لغة وشرعاً.
- ما يتضمن الإيمان بالكتب.
- أهمية الإيمان بالكتب.
- أدلة الإيمان بالكتب.
- الغاية من إنزال الكتب.
- مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية.
- مواضع الاختلاف بين الكتب السماوية.
- منزلة القرآن من الكتب المتقدمة.
- التوراة.
- التوراة الموجودة اليوم.
- الإنجيل.
- الإنجيل بعد عيسى-عليه السلام..
- هل يسوغ لأحد اتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن؟.

- ثمرات الإيمان بالكتب.
 - ما يضاد الإيمان بالكتب.
 - الطوائف التي ضلت في باب الإيمان بالكتب.
- فلعل هذه الصفحات تعطي صورة عامة لهذا الباب.
وأخيراً أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما
علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي ص.ب: ٤٦٠

www.toislam.net

تعريف الكتب لغة وشرعاً

الكتب في اللغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب، مثل فراش بمعنى مفروش، وإله بمعنى مألوه، وغراس بمعنى مغروس.

ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، وسمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.

ومنه الكتيبة من الجيش سميت كتيبة؛ لاجتماعها، وانضمام بعضها إلى بعض، ومنه تسمية الخياط كاتباً؛ لأنه يجمع أطراف الثوب إلى بعض، كما في مقامات الحريري^(١)، حيث قال ملغزاً:

وكاتبين وما خطت أناملهم حرفاً ولا قرأوا ما خط في الكتب
ويَقصدُ بهم الخياطين.

أما في الشرع: «فالمراد بها الكتب التي أنزلها الله-تعالى-على رسوله؛ رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة»^(٢).

(١) مقامات الحريري، ص ٢٨٦، دار صادر وانظر مادة كتب في لسان العرب.

(٢) رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين، ص ٢٣.

ما يتضمن الإيمان بالكتب^(١)

- ١- الإيمان بأنها أنزلت من عند الله حقاً.
 - ٢- الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نُزِّلَ على محمد ﷺ والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ والإنجيل الذي نزل على عيسى-عليه الصلاة والسلام- والزبور الذي أوتيهِ داود-عليه السلام-.
 - وأما ما لم نعلمه من الكتب المنزلة فنؤمن به إجمالاً.
 - ٣- تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل، أو يحرف من الكتب السابقة.
 - ٤- العمل بما لم ينسخ منها، والرضا، والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها.
- وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال-تعالى-: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨).
- أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن.

(1) انظر المصدر السابق، ٢٣.

أهمية الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله-عليهم السلام-.
وقد أثنى الله-عز وجل- على الرسل الذين يبلغون عن الله رسالاته فقال-عز وجل-: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٣٩).

كما أخبر-سبحانه- أن الرسول ﷺ والمؤمنون آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، قال-تعالى- ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

ومما يدل على أهميته أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بما أنزله كما في قوله-تعالى-: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

ومما يدل على أهميته أن الله أهلك الأمم بسبب تكذيبهم برسالاته، كما أخبر الله عن صالح بقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩).

كذلك من أنكر شيئاً مما أنزل الله فهو كافر كما قال-تعالى-: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦).

أدلة الإيمان بالله

لقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على الإيمان بالكتب فمن ذلك قوله-تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (النساء: ١٣٦) وقوله-تعالى-: ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ (الشورى: ١٥).

وقال-عليه الصلاة والسلام-كما في حديث جبريل المشهور عندما سأله عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» الحديث^(١).

الغاية من إنزال الكتب^(٢)

أنزلت الكتب السماوية كلها لغاية واحدة، وهدف واحد وهو أن يُعبدَ الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها، وتنير لهم دروب الحياة كلها.

(1) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨).

(2) انظر الرسل والرسالات، ص ٢٣٥، د. عمر الأشقر.

مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية^(١)

تتفق الكتب السماوية في أمور عديدة منها:

١- وحدة المصدر: فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قال-تعالى-: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: ١-٤).

٢- وحدة الغاية: فالكتب السماوية غايتها واحدة، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال-تعالى- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

وقال-تعالى-: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩).
والإسلام هو الدين الذي أمر به إبراهيم-عليه السلام- ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١).

وقال موسى-عليه السلام- لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤).

والحواريون قالوا لعيسى-عليه السلام-: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢).

فالغاية-إذاً-هي الدعوة إلى دين الإسلام، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له.

٣- مسائل العقيدة: فالكتب اشتملت على الإيمان بالغيب، ومسائل العقيدة، كالإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

(١) انظر المرجع السابق، ص ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٩.

فمسائل العقيدة من باب الأخبار التي لا تنسخ.

٤- القواعد العامة: فالكتب السماوية تقرر القواعد العامة، التي لا بد أن تعيها البشرية؛ كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره كما قال-تعالى- ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (النجم: ٣٦-٤١).

ومن ذلك الحث على تزكية النفس، وبيان أن الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتزكية النفس بالطاعة لله، والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل.

قال-تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (الأعلى: ١٤-١٩).

ومن تلك القواعد أن الذي يستحق وراثته الأرض هم عباد الله الصالحون؛ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥). ومن ذلك أن العاقبة للتقوى وللمتقين، كما قال-تعالى-: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه: ١٣٢)، وقال: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٨).

٥- العدل والقسط: وهذا من مواطن الاتفاق؛ فجميع الأنبياء-عليهم السلام- حملوا ميزان العدل والقسط، قال-تعالى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد: ٢٥).

٦- محاربة الفساد والانحراف: وهذا ما اتفقت عليه الرسالات؛ سواء كان الفساد عقدياً أو خلقياً، أو انحرافاً عن الفطرة، أو عدواناً على البشر، أو تطفيفاً في الكيل والميزان، أو غير ذلك.

٧- الدعوة إلى مكارم الأخلاق: فالكتب كلها دعت إلى مكارم الأخلاق، كالعفو

عن المسيء، وكالصبر على الأذى، وكالقول الحسن، وبر الوالدين، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، والتواضع، والعطف على المساكين، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق.

٨- كثير من العبادات: فكثير من العبادات التي نقوم بها كانت معروفة عند الرسل وأتباعهم، كالصلاة، والزكاة، قال-تعالى-: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ﴾ (الأنبياء: ٧٣).

وإسماعيل-عليه السلام- ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ (مريم: ٥٥)، وقال الله لموسى-عليه السلام- ﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه: ١٤)، وقال عيسى-عليه السلام-: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٣١).

والصوم-كذلك-مفروض علينا كما هو مفروض على من قبلنا، قال-تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

والحج كذلك، كما في قول الله-تعالى-لإبراهيم-عليه السلام- ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ (الحج: ٢٧).

وقد جعل الله لكل أمة مناسكها وعبادتها، قال-عز وجل-: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ (الحج: ٣٤).

مواضع الاختلاف^(١)

تختلف الكتب السماوية في الشرائع، فشريعة عيسى تخالف شريعة موسى-عليهما السلام- في بعض الأمور، وشريعة محمد ﷺ تخالف شريعة موسى وعيسى-عليهما السلام- في أمور.

قال-تعالى-: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨).

وليس معنى ذلك أن الشرائع تختلف اختلافاً كلياً؛ فالناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية، وقد مر بنا شيء من ذلك، فالاختلاف بينها إنما يكون في التفاصيل.

فعدد الصلوات، وأركانها، وشروطها، ومقادير الزكاة، ومواضع النسك، ونحو ذلك-قد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يُحلل الله أمراً في شريعة لحكمة، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة يعلمها-عز وجل-ولا يلزم أن نعلمها، ومن الأمثلة على ذلك مايلي:

١-الصوم: فقد كان الصائم يفطر في غروب الشمس، ويباح له الطعام، والشراب، والنكاح إلى طلوع الفجر ما لم ينم، فإن نام قبل الفجر حرم عليه ذلك كله إلى غروب الشمس من اليوم الثاني، فخفف الله عن هذه الأمة، وأحلّه من الغروب إلى الفجر، سواء نام أم لم ينم، قال-تعالى-: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

(1) انظر الرسل والرسالات، ص ٢٥٠.

٢-ستر العورة حال الاغتسال: لم يكن واجباً عند بني إسرائيل، ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده»^(١).

٣-الأمور المحرمة: فمما أحله الله لآدم تزويج بناته من بنيه، ثم حرم الله هذا بعد ذلك.

وكان التسري على الزوجة مباحاً في شريعة إبراهيم، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرى بها على سارة.

وقد حرم الله مثل هذا على بني إسرائيل في التوراة. وكذلك الجمع بين الأختين كان سائغاً، وقد فعله يعقوب فتزوج بابنتي خاله: لياً، وراحيل؛ وهما أختان ثم حُرِّمَ عليهن في التوراة.

ومما حرمه الله على اليهود ما قصه علينا في سورة الأنعام، قال-تعالى-: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اختَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

ثم جاء عيسى-عليه السلام- فأحل لبني إسرائيل بعض ما حرم عليهم. وجاءت الشريعة الخاتمة لتكون القاعدة: إحلال الطيبات وتحريم، الخبائث. ومما تميزت به الشريعة الخاتمة أنها عامة لجميع الناس إلى قيام الساعة، بخلاف الشرائع الأخرى، فهي خاصة بقوم دون قوم، أو فترة دون فترة.

(1) البخاري-الفتح (٢٧٨)، مسلم (٣٣٩).

منزلة القرآن من الكتب المتقدمة (١)

القرآن آخر الكتب السماوية وهو خاتمتها، وهو أطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها.

قال الله-تعالى-: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨).

وقال-تعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس: ٣٧).

وقال: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

قال أهل التفسير في قوله-تعالى- ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ : مهيمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، ومصداقاً لها؛ يعني يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف، وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه كما قال-تبارك وتعالى-: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٢، ٥٣).

فالقرآن هو رسالة الله لجميع الخلق، وقد تكفل-سبحانه- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

ولا يقبل الله من أحد ديناً إلا ما جاء في هذا القرآن العظيم.

(1) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص ٨١-

الإيمان بالكتب 14

قال الشيخ ابن سعدي-رحمه الله-في قوله-تعالى-: ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾: «أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه»⁽¹⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ١/٤٩٠.

التوراة

التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى-عليه السلام- والتوراة كتاب عظيم اشتمل على النور والهداية كما قال-تعالى-: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (المائدة: ٤٤).

وقال-تعالى-: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٤).

وكثيراً ما يقرن الله-عز وجل-في القرآن بين التوراة والقرآن؛ وذلك لأنهما أفضل كتابين أنزلهما الله على خلقه.

هذه باختصار هي حقيقة التوراة التي أنزلت على موسى-عليه السلام-.

التوراة الموجودة اليوم^(١):

أما التوراة الموجودة اليوم فهي ما يطلق على الشريعة المكتوبة، كما يطلق لفظ (التلمود) على الشريعة الشفهية.

والتوراة الموجودة اليوم تشتمل على خمسة أسفار وهي:

- ١- سفر التكوين: ويتحدث هذا السفر عن خلق العالم، وظهور الإنسان، وطوفان نوح، وولادة إبراهيم إلى موت يوسف-عليه الصلاة والسلام-.
- ٢- سفر الخروج: ويتحدث عن حياة بني إسرائيل في مصر، منذ أيام يعقوب إلى خروجهم إلى أرض كنعان مع موسى ويوشع بن نون.
- ٣- سفر اللاويين: نسبة إلى لاوي بن يعقوب، وفي هذا السفر حديث عن

(1) انظر: مقارنة بين القرآن والتوراة لمحمد الصوياني.

الطهارة، والنجاسة، وتقديم الذبائح، والنذر، وتعظيم هارون وبنيه.

٤- سفر العدد: يخصي قبائل بني إسرائيل منذ يعقوب، وأفرادهم ومواسيهم.

٥- سفر التثنية: وفيه أحكام، وعبادات، وسياسة، واجتماع، واقتصاد، وثلاثة خطابات لموسى-عليه السلام-.

هذه هي التوراة الموجودة اليوم، وكل عاقل منصف-فضلاً عن المسلم المؤمن-يعلم براءة التوراة التي أنزلها الله على موسى-عليه السلام- مما هو موجود في التوراة اليوم، وذلك لأمر عديدة منها:

١- ما حصل للتوراة من الضياع والنسخ والتحريف والتدمير، فلقد حُرّف فيها، وبُدِّل، وضاعت، وتعرضت لسبع تدميرات، منذ عهد سليمان-عليه السلام-(٩٤٥) قبل الميلاد إلى أن حصل التدمير السابع عام ٦١٣م مما يدل على ضياعها وانقطاع سندها.

٢- ما تشتمل عليه من عقائد باطلة لا تمت إلى ما جاء به المرسلون بأدنى صلة.

٣- اشتغالها على تنقص الرب-جل وعلا-وتشبيهه بالمخلوقين، ومن ذلك قولهم: «إن الله تصارع مع يعقوب ليلة كاملة فصرعه يعقوب».

ومن ذلك قولهم: «إن الله ندم على خلق البشر لما رأى من معاصيهم، وأنه بكى حتى رمد فعادته الملائكة».

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٤- اشتغالها على سب الأنبياء والطعن فيهم، ومن ذلك قولهم: «إن نبي الله هارون صنع عجلاً، وعبده مع بني إسرائيل».

وقولهم: «إن لوطاً شرب خمراً حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة تلو الأخرى».

وقولهم: «إن سليمان-عليه السلام-ارتد في آخر عمره، وعبد الأصنام، وبنى لها

المعابد، إلى غير ذلك من مخازي إخوان القردة»^(١).

٥- اشتمالها على المغالطات والمستحيلات والمتناقضات.

٦- أن المعركة التي قامت بين التوراة وحقائق العلم الحديث أثبتت ما في التوراة من الأخطاء العلمية.

ومن تلك الكتب التي تكلمت على هذا الموضوع كتابان هما: (أصل الإنسان) و (التوراة والإنجيل والقرآن) لعالم فرنسي اسمه (موريس بوكاي) حيث أثبت وجود أخطاء علمية في التوراة والإنجيل، وأثبت في الوقت نفسه عدم تعارض القرآن مع العلم الحديث وحقائقه، بل سجل شهادات تفوق سبق القرآن فيها العلم بألف وأربعمائة عام^(٢).

(1) انظر: الرسل والرسالات، ١٠٤ - ١٠٥.

(2) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (لموريس بوكاي) ترجمة الشيخ حسن خالد.

الإِنْجِيل

هو الكتاب العظيم الذي أنزله الله على عيسى-عليه السلام- متمماً للتوراة، ومؤيداً لها، وموافقاً لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون من سواه. هذا هو الإنجيل الذي أنزل على عيسى-عليه السلام-. وبعد موت عيسى-عليه السلام- دخل التحريف الإنجيل فغير فيه، وبدل، وزيد فيه، ونقص.

الإِنْجِيلُ بَعْدَ عَيْسَى-عَلَيْهِ السَّلَامُ-:

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأنجيل، ورسائل الرسل. وتسمى التوراة العهد القديم، وتسمى الأنجيل، ورسائل الرسل العهد الجديد. فالعهد الجديد-إذاً-هو الذي يشتمل على أناجيلهم، والأنجيل المعتمدة عند النصارى أربعة هي:

٢- إنجيل مرقس.

١- إنجيل يوحنا.

٤- إنجيل لوقا.

٣- إنجيل متى.

وهناك أناجيل أخرى مثل إنجيل برنابا، وأناجيل أخرى أهملت. هذا وقد بين كثير من العلماء المسلمين قديماً وحديثاً ومن علماء النصارى الذين دخلوا في الإسلام، أو المتحررين منهم من ربة التقليد-عدم صحة هذه الأنجيل الموجودة في أيدي النصارى، ووجهوا إليها انتقادات كثيرة، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-في كتابه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وابن القيم-رحمه الله تعالى-في كتابه: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. ومن العلماء المحدثين الشيخ رحمة الله الهندي-رحمه الله تعالى-في كتابه: إظهار

الحق، والشيخ محمد أبو زهرة-رحمه الله تعالى-في كتابه: محاضرات في النصرانية، ومن علماء النصارى الذين أسلموا إبراهيم خليل أحمد كما في كتابه: محاضرات في مقارنة الأديان.

وفيما يلي إجمال لبعض الأمور التي تبين بطلان الأناجيل الموجودة بأيدي النصارى اليوم وعدم صحتها:

١- أن هذه الأناجيل التي بأيدي النصارى لم يُملها عيسى-عليه السلام-ولم تنزل عليه وحياً، ولكنها كتبت بعده.

٢- ما وقع في الأناجيل من تلاعب النساخ، وتبديلهم وتحريفهم.

٣- اشتغالها على المتناقضات، والاختلافات، وقد أحصى الشيخ رحمة الله الهندي-في آخر كتابه إظهار الحق-أكثر من مائة اختلاف بين هذه الأناجيل.

٤- انقطاع السند في نسبتها لكتابها.

٥- اشتغالها على تنقص الرب-جل وعلا-وعلى نسبة القبائح للأنبياء-عليهم السلام-.

٦- اشتغالها على العقائد الباطلة المخالفة للنقل والعقل.

٧- تعارضها مع الحقائق العلمية، كما أثبت ذلك عدد من العلماء؛ منهم موريس بوكاي وقد مر معنا ذلك قريباً.

٨- زد على ذلك أن تلك الأناجيل-وبغض النظر عن كونها محرقة-تخلو من أي تصور محدد لنظام سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو علمي.

هل يسوغ لأحد اتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن؟

لا يسوغ لأحد ذلك؛ للاعتبارات السابقة، ولأنها-وعلى فرض صحتها- كانت خاصة لأمة معينة، ولفترة محددة، ولأنها نسخت بالقرآن الكريم. ومن هنا يتبين بطلان هذه الكتب، وعدم جواز العمل بها إلا ما أقره القرآن، ويتبين لنا ضلال اليهود والنصارى وبطلان مزاعمهم، كيف وقد قال ﷺ: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(١).

ثمرات الإيمان بالكتب^(٢)

- الإيمان بالكتب يثمر ثمراتٍ جليلاً منها:
- ١- العلم بعناية الله؛ حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.
 - ٢- العلم بحكمة الله؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسبهم، ويلائم أحوالهم.
 - ٣- التحرر من زبالات أفكار البشر يهدي السماء.
 - ٤- السير على طريق مستقيمة واضحة لا اضطراب فيها ولا اعوجاج.
 - ٥- الفرح بذلك الخير العظيم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨).
 - ٦- شكر الله على هذه النعمة العظيمة.
 - ٧- التحرر من التخبط الفكري والعقدي.

(1) رواه مسلم (١٥٣).

(2) انظر: رسائل في العقيدة الإسلامية، ص ٢٣.

ما يضاد الإيمان بالكتب

يضاد الإيمان بالكتب تكذيبها، والكفر بها، وتحريفها.

كما يضادها: الإعراضُ عن القرآن، وادعاء نسخه، والتحاكم إلى غيره، وادعاء نقصه، ومضاهاته، ومعارضته.

الطوائف التي ضلّت في باب الإيمان بالكتب

هناك طوائف كثيرة ضلت في هذا الباب منها:

١- اليهود: وذلك بتكذيبهم للقرآن، وتكذيبهم للقرآن هو في الحقيقة تكذيب لجميع الكتب السماوية.

٢- النصارى: يقال عنهم ما قيل عن اليهود، وقد مر الحديث عنهما.

٣- الرافضة: وذلك بادعائها أن القرآن ناقص ومحرّف، وأن القرآن الكامل مع الغائب الذي سيخرج في آخر الزمان من سرداب سامراء..!.
ثم إنهم ضلوا في هذا الباب بسبب جعلهما في الجفر والجامعة مصدراً للتلقي عندهم.

وضلوا أيضاً في تأويل القرآن حيث أغرقوا في الباطنية في تأويله^(١).

٤- البابية والبهائية: وذلك بادعائها نسخ القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية بشريعة الباب والبهاء^(٢).

٥- التيجانية: وذلك بتفضيلها أورادها وأذكارها-كصلاة الفاتح-على القرآن

(١) انظر الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، ص ٧٨، وانظر: بطلان عقائد الشيعة، لمحمد عبدالستار التونسي، ص ٣٥، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري ١/٢١٢ - ٢١٥.

(٢) انظر البابية عرض ونقد، لإحسان إلهي ظهير، ص ١٠٤ والبابية للكاتب، والبابية نقد وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، ص ٢٢٢ والبهائية للكاتب.

الكريم حيث قالوا: إن قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة أفضل من قراءة القرآن ستة آلاف مرة^(١).

٦- غلاة الصوفية عموماً: وذلك بادعائهم العلم اللدني الذي يوحى إليهم، ويغنيهم عن القرآن كما يزعمون.

ثم إن مصدر التلقي عندهم ليس القرآن والسنة بل يقوم على الرؤى والأحلام، والكشف، وغير ذلك^(٢) مما يخالف ما جاء في القرآن.

٧- النصيرية والدروز وسائر الفرق الباطنية: وذلك بانحرافهم في تأويل القرآن، وإغراقهم في التأويل الباطني، وإخراج القرآن عن معانيه وحقائقه الصحيحة، وكذلك ادعاء بعضهم نسخ الإسلام كما يقول علي ابن الفضل الباطني-قبحه الله-:

تولي نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضي شرعةٌ وهذي شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة وفرض الصيام فلم نتعب

إلى آخر ذلك الكفر الصراح البواح^(٣).

٨- المشرعون والقانونيون: الذين أعرضوا عن تحكيم القرآن، وعارضوه بزيالات أفكارهم، زاعمين أنه لا يناسب العصر الحديث، ولا يفي بحاجاته.

(١) انظر: التيجانية، لعلي الدخيل الله، ص ١١٦ - ١٢٣.

(٢) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير، ٢٦٠ - ٢٧٥، وهذه هي الصوفية، للشيخ عبدالرحمن الوكيل، ص ٧٠.

(٣) انظر: كشف أسرار الباطنية، لابن أبي الفضائل الحمادي اليمني، ص ٥٠، والحركات الباطنية، د. محمد بن أحمد الخطيب، ص ٦٦ و ٣٤٩، والنصيرية، د. سهل الفيل، ص ٨٧، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسليمان الأذني، ص ٤٨ - ٥٠.

الفهرس

٢	- المقدمة
4	- تعريف الكتب لغة وشرعاً
5	- ما يتضمن الإيمان بالكتب
6	- أهمية الإيمان بالكتب
7	- أدلة الإيمان بالكتب
7	- الغاية من إنزال الكتب
8	- مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية
11	- مواضع الاختلاف بين الكتب السماوية
13	- منزلة القرآن من الكتب المتقدمة
15	- التوراة
15	- التوراة الموجودة اليوم
18	- الإنجيل
18	- الإنجيل بعد عيسى -عليه السلام-
20	هل يسوغ لأحد أتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن
20	- ثمرات الإيمان بالكتب
21	- ما يضاد الإيمان بالكتب
21	- الطوائف التي ضلت في باب الإيمان بالكتب